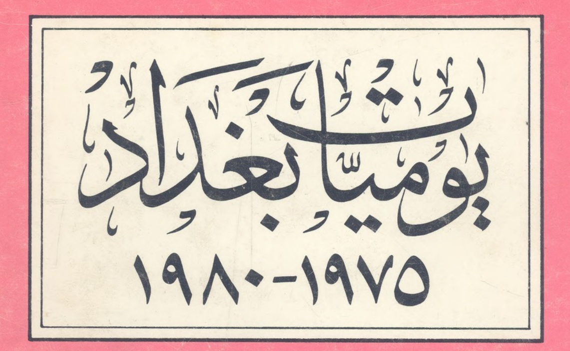
صافي ناز كاظم



منشورات أوبن پرس المحدودة . لندن

إهـــــــداء2005

أ/إبراهيم منصور غنيم

القاهرة


يوميات بغداد
١٩٧٥-١٩٨٠

صافي ناز كاظم



منشورات أوبن پرس المحدودة . لندن

الطبعة الأولى ١٩٨٤

ISBN 0-905081-1818

The Open Press Ltd.
6 Endsleigh Street
London WC1H 0DS

المحتويات

هذه شهادتي أقدمها لله أبتغي وجهه :

- « ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون »

(البقرة : ١٤٠)

- « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه »

(البقرة : ٢٨٣)

- « ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين »

(المائدة : ١٠٦)



تمهيد

في شهر أبريل ١٩٨٠ وصلت إلى قراري الحاسم بترك عراق البعث الصدامي[1] .. هذا القرار الذي ظل يحاصرني عاماً بأكمله منذ انبثاق يثرب الجديدة ، على أرض سلمان الفارسي ، الذي ولد الفرح العارم في قلوب المؤمنين كافة ، والحسد الأسود والغيظ المقيت في قلوب من أراد الله أن يضلهم ويجعل صدورهم ضيقة حرجة كأنما يصعدون في السماء .

كانت التراكمات كثيرة مكثفة منهمرة كالمطر النجس ، لكن الحدث المباشر كان إعدام الإمام الشهيد العلامة آية الله محمد باقر الصدر وشقيقته الأديبة المجاهدة الآنسة آمنة بنت الهدى في الأسبوع الأول من ابريل سنة ١٩٨٠ . الحدث قد رددته الأفواه البغدادية في لمح البصر ، آخذا أشكالا عديدة من الروايات ، فمن قائل أن الإمام وشقيقته وأمه وأولاده قد تمت إبادتهم جميعاً رمياً بالرصاص ، إلى قائل بأن بيتهم بالنجف الاشرف قد حفر حوله خندق غائر يكفل الحصار التام لمنزل الإمام حيث تم نقلهم ليلا إلى بغداد ومن ثم إلى حيث نفذ الإعدام. ولكن الرواية التي تأكدت هى أن الإمام قد تم استدعاؤه لمقابلة صدام حسين الذي ساومه بين القتل أو إدانة الثورة الإسلامية حيث لم يتردد الإمام في اختيار الموت الذي كان قد توضأ استعداداً له قبل تركه بيته مصاحباً رجال الأمن .. وسأله صدام أي أسلوب من القتل تريد فقال الإمام : أن أذبح كما ذبح الحسين .. ولكن صدام أمر بأن يموت رمياً بالرصاص وخلع الإمام الجليل عمامته السوداء مجابها رصاص الجلاد المحترف لكن يد الجلاد اهتزت ولم تستطع إطلاق الرصاص فتم تكليف جلاد ثان لكن يده اهتزت كذلك ولم يستطع أحد من الجلادين المحترفين هؤلاء أن يطلقوا الرصاص على الإمام الجليل مما اضطر صدام إلى أن ينهرهم و يقوم هو بنفسه بعملية إطلاق الرصاص وقتل الإمام الشهيد . بعد يومين

---

١ ـ وقد غادرت العراق نهائياً في ٢٩ يونيو ١٩٨٠ .

أستدعيت الآنسة آمنة بنت الهدى ، شقيقة الإمام الشهيد ، بحجة أن شقيقها يريدها حيث تم تنفيذ حكم الإعدام عليها بعد إجراءات تنكيل وحشية جعلتهم يترددون في تسليم جثتها بعد استشهادها ، رضي الله عنها ..

وتم التكتم الشديد على هذه الأخبار حتى اعترفت بها السلطة بعد أسابيع على شكل خبر تم نشره في مجلة (الوطن العربي)[٢] يروي باختصار ان إعدام الإمام قد تم بعد ثبوت اشتراكه في مؤامرة ضد العراق بإيعاز من الحكومة الإسلامية بايران ، لكن السلطة الصدامية ظلت متهيبة عاجزة عن مواجهة الشعب العراقي بنشر الخبر في صحفها المحلية الخاضعة لها والمؤتمرة بأمرها وإن رددت في صفوف حزبها اسم الإمام الشهيد مسبوقاً بـ « العميل المشبوه » .

وكان هذا الجرم الفادح هو ذروة الإجراءات التمهيدية التي سبقت الحرب السافرة المستعرة ، التي أخرجت على الملأ العالمي أضغان الحكم البعثي الصدامي ضد الثورة الإسلامية الشعبية الفتية التي أراد الله لها الانبعاث على أرض إيران ..

صافي ناز محمد كاظم

القاهرة ١ مارس ١٩٨١ ــ ٢٤ ربيع الثاني ، ١٤٠١ هـ ..

---

٢ ـ عدد ١٨ أبريل ١٩٨٠، على ما أتذكر ..

الكراسة الأولى

من احتفالات اتفاقية الجزائر
إلى الاعتداء على إيران الإسلامية

« وكنت أسير في بغداد أكاد أشم الدم وأحس مذاقه حقيقة في حلقى وأنا أبلع ريقي ..»

« وكنت ألاحظ تشابها لا يغيب عن العين بين نغمة وطقس الحياة في مصر تحت الحكم الناصري في الستينات ، قبل النكسة، وبين نغمة وطقس الحياة في العراق ..»

« ..الشعب العراقي وجد نفسه بالنهاية في حفلة زار ضخمة ذكرتني بحفلات الزار التي كان عبد الناصر يتفنن في إقامتها كلما داهمه مأزق..»

عندما وصلت بغداد في سبتمبر سنة ١٩٧٥ لأتسلم عملي بالجامعة كانت بغداد مازالت في مهرجانات تمجيد وتفخيم « النصر » الذي أحرزته بتوقيع اتفاقية الصلح التي تمت في الجزائر بين العراق وإيران الشاه . وكان الانطباع العام الذي شعرت به : أن البلد تنعم بالهدوء والأمن والثراء تحت حكم مستقر منذ سنة ١٩٦٨ . ورغم القبضة الحديدية التي كنت أحس وطأتها على وجوه الناس ، الحزبيين وغير الحزبيين كافة ، كانت الأشياء عموماً تحمل قسمات الرغبة المخلصة في إدخال الطمأنينة على قلب الشعب العراقي ومسح ذكرياته السوداء عن المذابح القديمة والويلات التي صاحبت الصراع بين حكم قاسم ، وسيطرة الحزب الشيوعي من خلاله ، وبين حزب البعث والمجازر التي وقعت بسبب هذا الصراع وكبدت الفريقين خسائر دامية في الأرواح وحسرات وأحقاداً غائرة في القلوب .

وكان الوعد الذي يحمله الحكم البعثي تحت رئاسة حسن البكر أن يحقق للشعب العراقي، الى جوار الطمأنينة والرغد والهناء المعيشي، قيادة «الأمة العربية» لاستعادة فلسطين وتحقيق وحدة الوطن العربي . وكان الدور الجديد الذي أخذه حسن البكر - الدموى القديم - دور الأب الحنون فسيح الصدر كبير القلب المتجاوز المتفهم لأخطاء البشر واختلافاتهم ، وكان صدام نائبه القوى يأخذ دور ابنه المطيع ، المتشدد في الحق ، المفتش عن الأخطاء التي تعوق الإنتاج المرجو لعراق قائد ، الذي قد يتهاون مع خطأ غير الحزبي لكنه لا يتهاون أبداً مع بعثي يخطىء لأن البعثي هو الكادر النموذجي الذي على عاتقه يقع بناء « الدولة النموذج » !

وكنت ألاحظ تشابهاً لا يغيب عن العين بين نغمة وطقس الحياة في مصر تحت الحكم الناصري في الستينات ، قبل النكسة ، وبين نغمة وطقس الحياة في العراق في سنواتها تلك، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ و ٧٨، باستثناء يتميز به الحكم البعثي في العراق أن الغناء والتمجيد كان للحزب وبإسم الحزب بينما

كان الغناء والتمجيد في مصر لعبد الناصر ولإسم عبد الناصر- لكن التشابه فيما عدا ذلك كاد أن يكون متطابقاً خاصة في مرض الفجوة الواقعة بين القول والفعل التي لم تفلح الشقشقات والطقطقات والرطانة المطلة علينا من الإذاعة والتلفزيون والصحافة أن تمحوها أو تخفيها حتى عن الأبله والمعتوه، ومع ذلك كان هناك شكل من أشكال الاسترخاء الذهني استحب الشعب أن يستسلم له باغماض العين عن الكثير راضياً بحصيلته من الهدوء النسبي والطمأنينة (بعض الشيء) بديلا عن لجج الدماء التي سبح فيها طو يلا ولا يستحب أن يعود اليها.

وجاءت زيارة السادات للقدس في التاسع عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩٧٧ ، فرصة مؤاتية لنظام الحكم العراقي يشد إليها ويمتص بها ما قد يكون في صدر الشعب العراقي من غضب ورغبة متطلعة للشجب والإدانة والاحتجاج. وفعلا نجحت زيارة السادات للقدس وصلحه مع إسرائيل في أن تعطي فرصة للنظم العربية، ومن بينها النظام العراقي، لكى تضع على صدرها أوسمة الشجاعة والعفة والكرامة والعشق الأبدى لفلسطين . لكن شاء الله ألا يستمر هذا الخداع طو يلا ، فما أن جاء عام ١٩٧٨ حتى تصاعد الانفجار الفوار المستمر المتأجج لغضب الشعب الايراني الذي توج بالنصر المؤزر عندما خرج الشاه وسقط بختيار (حكومة الشياطين)، وعاد الإمام في فبراير ١٩٧٩ ، من منفاه الترانزيت في باريس الذي اضطر إليه عندما طلبت منه حكومة البعث بضغط من الشاه أن يكف عن العمل السياسى (!!!) أو يترك العراق فتركها فى شهر أكتوبر ١٩٧٨ ، والخجل يتصبب عرقاً خائباً على جبين الشعب العراقي، الذي أفهموه ، عن طريق الترديد المستمر للشعارات الهواء ، أن عراق البعث قلعة الثوار ومأوى مناضلي العالم وحامية حمى الثورات الشعبية على مدار الكرة الأرضية ! ومنذ تاريخ خروج الإمام الخميني من العراق في أكتوبر سنة ١٩٧٨ والى الآن وهو يقوم ، بقصد منه و بغير قصد ، بمثابة جهاز كشف الكذب

للأنظمة العربية كافة وعلى رأسهم نظام البعث العراقي بأفراده الحاكمين التي انتهت شعاراتهم الثورية بمحاولتهم الخسيسة المقززة طعنَ النور الساطع وإطفاء الشمس متساندين مؤيدين من قبل أحقر نظام عرفه العرب وهو نظام الملك اللعبة حسين الأردن الذي هو المعادل، فى حقيقته ودوره، لإسرائيل ودويلة سعد حداد في جنوب لبنان .

بينما كان العالم أجمع يرقب اشتعال الإجماع الثوري الشعبي في إيران ضد الشاه ونظامه ورموزه على مدى عام ١٩٧٨ ، كان الشعب العراقي يرقب أشياء مريبة تحدث في بلاده بعضها مستور وبعضها يطل من شاشة التلفزيون: تهوين لما يحدث في الشارع الإيراني وحصار أصم لأخباره المتصاعدة في أسلاك وبرقيات وكالات الأنباء التي تجوب العالم ، مضافاً إلى ذلك الدعوة التي وجهت إلى فرقة ضخمة من فناني الإعلام الشاهنشاهي الداعر لإحياء حفلات تموز (يوليو) ١٩٧٨ ـ ذكرى قيام ثورة الشعب العراقي في يوليو ١٩٥٨ ! وشاهد الشعب العراقي الاحتفال الثوري لذكرى الثورة من قبل نظام « الدولة النموذج ! »:

«جوجوش» المغنية والراقصة والعاهرة الشاهنشاهية تغني ثملة منطلقة، عبر شاشات التلفزيون في عقر دار الشعب العراقي المسلم المحافظ، تؤدي من الحركات الماجنة الداعرة ماشاءت ، فاقدة تماماً كل مايمكن أن يعقلها من رباط أو ضابط أياً كانت نزعته، وتوالي بعد «جوجوش»، فى سهرة استمرت إلى الصباح، رفيقاتها ورفاقها السائرين على نهجها ، وكبار مسئولي الدولة فاغرين الأفواه والعيون انبهاراً بالفن الفارسي الذي تنصل تماماً من إسلاميته ولحق ، بجدارة ، بركب الدعارة العالمية. ولم يكتف التلفزيون بوخز تلك الليلة الفاحشة في ضمير وقلب الشعب العراقي المسلم فبادر في اليوم التالي، إمعانا في الفجاجة والنفاق الديني المثير للغثيان، الى بث مقابلة تلفزيونية مع «جوجوش» تطرحها بصفتها الفنانة «النموذج» (!!) لما يجب إن تطمح إليه

المغنية العراقية ! ولم ينس المذيع أن يسألها عن زيارتها للعتبات المقدسة ولم تنس جوجوش أن تسبل عينيها في ورع الشيطان قائلة بالعربية المكسرة أنها زارت « النجف الأشرف » و « كربلاء » وقرأت الفاتحة للإمام علي والإمام الحسين وأبي الفضل العباس!

كان هذا يبث من التلفزيون العراقي والإمام الخميني لا يزال موجودا بالبلاد يمد حبله آخذا ومعطياً مع شهيق وزفير الشارع الإيراني ، ولم يكن لنظام حكم اختار « جوجوش » أن يصبر أو يتحمل، بعد، تنفس الإمام الكريم . وبعد خروج الإمام الخميني بفترة وجيزة نشرت الصحف خبر مرور «الشاهبانو» فرح ديبا على بغداد ولقائها مع صدام حسين، ولم تنس هي الأخرى زيارة العتبات المقدسة .

وقتها تساءلت: ما الذي جاء بفرح ديبا وكيف يقابلها صدام وهي عدوة الشعب الايراني وسمعت « الخلطة الجدلية » التي كانت تحفظ للجميع على كل المستويات :

« والله إن ما يحدث في إيران يخص إيران ونحن لا نتدخل في شئون إيران الداخلية ، وهناك اتفاقية صداقة تم توقيعها في الجزائر عام ١٩٧٥ مع الشاه لتهدئة الجبهة الشرقية استعداداً للتفرغ للجبهة الغربية (فلسطين «القضية المركزية»)) حيث أننا لا يجب أن ننجرف إلى الإغراءات أو الاستفزازات لفتح جبهتين معاً لأن هذا ليس في مصلحة أحد إلا إسرائيل ومن ورائها الامبريالية العالمية ... الخ ... الخ ... الخ !»

وكان الرد يبدو معقولا وقتها، مع غصة، على أساس أنه ربما كان هذا هو تكتيكهم « القومي » حماية لهم من قلقلات الشاه وأمريكا ، خاصة بعد أن فتحت أمامهم جبهة مصر أيضاً بصلح نظامها مع إسرائيل .

وقبلها، صيف سنة ١٩٧٨، سمعت كلاماً مشابهاً عندما ثارت مناقشة بين أحد المصريين المدافعين عن صلح السادات مع إسرائيل و بين شاب عراقي بعثي متحمس، كان يكيل السباب للسادات بسبب استسلامه وخيانته. فقال المصري: «يعني ما تتحمقش قوي كده. طب ما صدام عمل زي السادات بالضبط: صدام عقد صلح مع دولة محتلة لأرض عراقية، هي إيران، والسادات عقد صلح مع دولة محتلة لأرض عربية.. خالصين!»

وهنا ثار العراقي البعثي ثورة كاد يفتك معها بالفتى المصري مرددا مقولة نهائية: «غير صحيح أن إيران تحتل أرضاً عراقية، وغير صحيح أن صلح صدام مع الشاه كان به تنازلات عن جزر عربية، وأن هذه الجزر ملكية شائعة ولا قيمة لها على الإطلاق».

وخلال المناقشة كنت غاضبة على المصري، وكدت أفتك به، أنا الأخرى، إذ كيف يقارن هذه المقارنة بين إيران، وحتى ولو كانت تحت حكم الشاه، و بين إسرائيل، و يعادل بين الصلح معها والصلح مع إسرائيل.

وكرر الفتى البعثي أن البعث معادٍ للشاه و يتمنى سقوطه لأنه أحد رموز الرجعية في المنطقة، ولأنه عدو خطر للنظام التقدمي العراقي، لكن ما باليد حيلة، وأنهم مضطرون إلى مهادنته حتى لا تستنفد قواهم العسكرية الضخمة الموفرة لصد العدوان الإسرائيلي وتحرير فلسطين !

لكن كل هذا الكلام لم يصمد طلاؤه الكاذب بعد اليوم الأول لوصول الإمام الخميني الى أرض إيران مكتسحاً، بقوة الله وقوة «الله أكبر» ، مع الشعب الهادر: « لا إله إلا الله »، الطحالب والأعشاب والأشجار الواهية، ورأينا المعجزة على الأرض .. تحقق وعد الله وأعلنت الحكومة

الإسلامية والجمهورية الإسلامية ، واربد وجه النظام البعثي . و بداية من شهر فبراير ١٩٧٩ كان على أمريكا أن تحرك خيوط عرائسها[1] في تنسيق سريع لمواجهة الطارىء الثوري الإسلامي .. فماذا رأينا ؟

كانت التلقائية المنطقية للشعب العراقي المسلم هي التعبيرعن الفرح الغامر لنجاح الثورة الإسلامية وقيام الجمهورية الإسلامية ، وكان هناك نوع من الزهو بأن العراق ساهم في ضيافة الإمام الخميني لمدة ستة عشر عاماً، وإن كان هذا الزهو قد خالطه نوع من الأسف أنه لم يقدر أن يعود الإمام الخميني إلى إيران منطلقاً من العراق، وكان هذا الفرح الغامر يلوح على جماهير الشعب العراقي المسلم بمن فيهم من البعثيين (القاعدة الجماهيرية للحزب معظمها من العمال والبسطاء وهم أغلبية شيعية و يتمركزون كطبقة فقيرة في حي شعبى كثيف السكان في بغداد إسمه « حي الثورة » ، وهو حى أنشيء مع ثورة عبد الكريم قاسم ، إلا أنه مهمل تماماً، فقير الخدمات ، تتحول طرقاته إلى أنهار ممتزج فيها ماء المطر مع ماء المجارى ، لا يجرؤ أحد غير سكانه على تحمل المرور عبره ولو اضطراراً، وهو يتناقض تناقضاً مؤلماً في تخلفه وفقره مع الوجه الآخر السياحي السياسي لبغداد الذي تعيش فيه صفوة الحزب مع الترف الجامع بين ترف العصر العباسي وترف العصر الأوربي الأمريكي المعاصر .. و يكفى فى بغداد أن يُشتم الانسان بأنه من حي الثورة حتى يفهم أنه : فقير ومتخلف ومتوحش ولا يقرأ ولا يكتب ! ومع ذلك فهذا الحي هو حى القاعدة الجماهيرية لحزب البعث !!) . ولكن فرح الشعب العراقي المسلم ، بمن فيهم من القاعدة الجماهيرية لحزب البعث ، لم يلق تشجيعاً من السلطة الحاكمة ولا من قيادة الحزب وساد التجهم والبرود أمام كل مظهر فرح شعبي بالثورة الإسلامية والتقط الشعب على الفور الرسالة الضمنية في سلوك السلطة والحزب إزاء

---

١ ــ أي الدمى

فرحهم، وعرفوا أن بديهية الفرح من جانب شعب مسلم لقيام دولة وحكومة إسلامية ، هي بديهية لابد من أخذ التصريح بها قبل انتهاجها، وبميكانيكية الدفاع عن النفس التي تشربتها الشخصية العراقية عبر المذابح ، تم إخفاء الفرح فوراً وصار فرحاً تحت الأرض يتزامل السكنى مع المقت الذي تجدد للمجموعة الحاكمة وصفوة الحزب التي بدأت بدورها تستلهم من غريزتها في حب البقاء أساليبها المتنوعة لشغل الشعب وقاعدتها الجماهيرية الحزبية عن فرحه ومقته . وكان لابد من إيجاد مناسبة تخلق ضجيجاً كافياً يسد مع الكبت كل منافذ الضوء الإسلامي المنهمر من إيران . وهكذا ، و بين ليلة وضحاها ، خرجت لنا القيادة السياسية بقرار بالصلح مع حافظ الأسد عدوهم اللدود الذي لم يكفوا دون رجمه صباح مساء طيلة السنوات السابقة حتى اعتقد الشعب العراقي أن الصلح مع إسرائيل أكثر احتمالا من الصلح مع سوريا حافظ الأسد .. وملأت الابتسامات شاشة التلفزيون مع الأحضان والتربيتات بين آت من سوريا وذاهب من العراق وخرجت الحكمة العربية مستمدة من التراث عن صلح العرب وسماحة العرب وعفو العرب وخصام الأشقاء الذى مهما كان لا يُخرج الظفر من اللحم ! ووسط دهشة الشعب العراقي ، وقاعدة الحزب الشعبية ، تم إعلان اتخاذ الخطوات لإجراء الوحدة بين النظامين ولحم الحزب المنشق إلى جسد واحد، وخرجت الأحاديث بأنه كان على مؤتمر بغداد العظيم الذي وحد العرب، بمبادرة من العراق، لاتخاذ موقف صامد إزاء خيانة النظام الحاكم في مصر ، كان على هذا المؤتمر أن يحل في أروقته النزاع السوري العراقي لأنه في النهاية اختلاف الود الذى لا يفسد للعرب قضية ، خاصة إذا كانت القضية المركزية للعرب ، ألا وهي فلسطيـــــــن !..

المهم أن الشعب العراقي وجد نفسه بالنهاية في حفلة زار ضحمة ذكرتني بحفلات الزار التي كان عبد الناصر يتفنن في إقامتها كلما داهمه مأزق مثل حفلة زار بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ التي أقامها للهرب من مظاهرات

الطلبة المحتجة على هزيمة ١٩٦٧ ومطالبة الشعب بالسلاح للدفاع عن أرضه .
وفتحت الحدود بين البلدين لتزاور الشعبين والتهت سوق دمشق بمستهلكين يشترون بنهم والتهت سوق بغداد بالتحضير لعروض أزياء لعرض الفن البغدادي على أهل دمشق .. ومع هذا الضجيج بدأت التحليلات الرافضة لنظام الحكومة الإسلامية في إيران تخرج متوارية ، ثم تسفر عن وجهها رو يداً رو يداً حتى ظهر الدق كاملا على دماغ الشعب العراقي المسلم قائلا في صراحة أن ثورة إيران ليست إسلامية وأنها مع غياب القيادة السياسية المدنية المطلوبة لم يكن هناك مفر من سقوطها في أيدي رجال الدين ! وكان هذا الإعلان بمثابة قرار تحريم وتجريم حب الدولة الإسلامية الناشئة و بدأ التلميح بكونها «أمريكية» والتشكيك في الإمام الخميني .. ومن الأمثلة أن منيف الرزاز ــ وكان أحد فلاسفة ومفكري الحزب في تلك الفترة ــ قال في إحدى المقابلات الصحفية ، في معرض هجومه على الإمام الخميني : « الدليل على عنصرية الخميني أنه يصر على الحديث باللغة الفارسية رغم أنه يجيد اللغة العربية » (!) ولم أدر ما الذي كان مطلوباً من زعيم إيراني تغنى بأمر شعبه الذي لايفهم إلا الفارسية ؟! والأعجب من هذا المنطق كان المأخذ الذي قدمته الصحافة العراقية على الثورة الإسلامية ألا وهو : الإعدامات الكثيرة !! ــ (التي جرت على الخونة والسفاحين والداعرات) ــ وفجأة ظهر لنا البعثي العراقي ــ دوناً عن كل الناس ــ بنزعته السلمية المتسامحة العاطرة التي لا تقوى على رؤية الدماء ورؤية إنسان يعدم ولو كان عباس هو يدا البهائي الصهيوني ! تلك النزعة البيضاء التي كانت تختفي سريعاً في شماتة واضحة كلما تم اغتيال أحد رجال الدين من المجاهدين الصابرين . وأمام كل اعتراض عراقي بعثي ، يصدر ضد الثورة الإسلامية ، كنت أتذكر بقوة المثل المصري : « ما لا قوش في الورد عيب، قالوا له : ياأحمر الخدين !!» .. كان الهجوم على الثورة الإسلامية لأنها حرمت الخمر ومنعت البغاء ورفعت المرأة المحجبة على المرأة السافرة وظهر الادعاء بأنهم يفرضون الحجاب على المرأة بينما تناسوا أن والد رضا بهلوي نزع

الحجاب بالقوة من على المرأة الايرانية وهي تسير بالطريق لإرغامها على الرضوخ لإجراءات السفور المفروضة قسراً على أمة مسلمة.

وعندما أذاعت لندن أن الإمام الخميني قرر تحريم الموسيقى : التاث التلفزيون والراديو العراقي بالموسيقى ونزلت الشعارات التي تكاد تقرر أن العربي يمكن أن يتهاون في عرضه ولا يتهاون في قرار جائر يحرمه من الموسيقى . وأقيم « المؤتمر الدولي للموسيقى العربية » في بغداد بضجة و بذخ لم تعهدها من قبل ولم ينقطع برنامج المنوعات الخاص بالأغنيات الأجنبية عن ولائه لجوجوش و بث أغنياتها مع رقصاتها الماجنة في وقت كان يحرم رفع صورة للإمام الخميني بل في وقت بدأت فيه نغمة بث العداء والكراهية للشعب الإيراني بدعوى أنه « فارسي مجوسي » .. ولكن صورة جوجوش المرفوعة وأغنياتها ظلت شاهداً على ولاء البعث العراقي وموضوعيته إزاء الموسيقى والغناء .. فكنت ترى صورة جوجوش مرفوعة بحرية كاملة في الدكاكين وعلى السيارات أما صورة الإمام الخميني فكان مقابلها طلقة رصاصة أو كوباً مسموماً من اللبن .

عندما حانت احتفالات تموز (يوليو) ١٩٧٩ كانت أصابع أمريكا قد قررت تحريك خيوط العرائس في خطوة حسم ضرورية لتحويل القيادة السياسية في العراق من قيادة جماعية يشترك فيها البكر مع صدام مع مجموعة من الوزراء وقيادات الحزب البارزين الى قيادة فردية يمسك بها رجل واحد يمكن أن يسكب فيه خمر الغرور بيسر و يطيش معه عقله وسلوكه وقراراته . وكانت قابليات صدام واستعدادته الفطرية ترشحه لأن يكون الفرد المختار الذي يتم على يديه :

١ ــ التخلص من القيادة الجماعية التي قد تختلف في الرأي ولو على مستوى الولاء المذهبي .

٢ ــ إيجاد المبرر لإلغاء موضوع الوحدة ــ اللعبة بين سوريا والعراق .

٣ ــ تطويق إرادة الشعب العراقي وإرهابه هو والقاعدة الشعبية للحزب .

٤ ــ غربلة صفوف الحزب وتصفية كل من يمكن أن يكون متعاطفاً مع الثورة الإسلامية مع إرهاب كل من راوده الحنين إلى الإسلام وفكر في العودة اليه.

٥ ــ إسقاط النظام الإسلامي في إيران قبل أن يترسخ وتنمو جذوره و يتمكن من التأثير في البيئة المحيطة بايران ..

٦ ــ إشعال حرب صيادة تسحب من إيران الثورة كل العتاد العسكري الذي كانت أمريكا قد تركته يتدفق على إيران الشاه لتحو يلها الى ثكنة عسكرية أمريكية رابضة للدفاع عن إسرائيل ومصالح أمريكا في الخليج . حرب لا يهم أن تخسر فيها العراق عتادها الحربي أو منشآتها التنمو ية أو حتى بترولها مؤقتاً ــ فأمريكا تستطيع أن تعيد للعراق هذا كله بعد أن تطمئن إلى أن الثروة العسكرية التي ورثتها إيران الثورة عن الشاه قد أحرقت و بددت تماماً . ونذكر هنا أن إسرائيل حذرت أمريكا ألا تسرف في إعطاء النظام المصري ما يريد من الأسلحة حتى لا تقع مرة أخرى الورطة التي حدثت لها في إيران ، فالنظم زائلة والسلاح باق إرثاً للشعب . وكانت هذه مشكلة تؤرق أمريكا فعلا: كيف يمكنها سلب هذا الكم الهائل من الأسلحة من إيران الثورة صاحبة القرار الإسلامي الحر المستقل عن الشرق وعن الغرب؟!

وفوجيء الشعب العراقي كما فوجئت القاعدة الجماهيرية للحزب في احتفالات تموز ١٩٧٩ بأحمد حسن البكر يعلن في خطابه التقليدي تنازله عن الرئاسة لنائبه صدام حسين ، بحجة أنه صار مريضاً تكالبت عليه الأمراض والكوارث (كان قد فقد زوجته ، و بعدها ابنه في حادث سيارة قتلته هو وزوجته وأطفاله وشقيقة زوجته ، وكانت الشائعات تدور في بغداد أن البكر صار أكثر التصاقاً بالدين وتعلقاً بزيارة العتبات المقدسة في النجف وكر بلاء وسامراء حيث مقام الإمام السيد محمد (الإمام الغائب عند الشيعة) وذلك بسبب رؤى وأحلام تحاصره أثناء النوم ، وأنه كان يتوجس الشر دائماً ممن حوله حتى أنه أصر في مرة على أن يصاحب إبنه المسافر بالطائرة خوفاً عليه من

تآمر لاغتياله) . ولم يرحب الشعب بهذا القرار إذ أحسوا أنهم بهذا سوف يدخلون مرحلة تكون القبضة الحديدية أكثر إحكاماً خاصة وأنه لن يكون هناك نائب قوي ند لصدام حسين كما كان صدام نائباً قوياً نداً للبكر مما جعل الكثيرين يقولون إنه كان حاكماً من وراء الستار . ولكن القيادة السياسية والواجهة الإعلامية طنطنت للقرار الديمقراطي (كذا !!) الذي تم اتخاذه والذي إن دل على شيء فانما يدل على الروح النقية الثورية التي تجعل القيادة السياسية، ومجلس قيادة الثورة، والقيادة القطرية للحزب، قوة مترابطة على درجة من السمو والرفعة لا يصلها إلا المتصوفة والزهاد !

وانتهت الاحتفالات وصدام بأناقته الباريسية وسيجاره الكوبي فرحاً سعيداً باسماً يستعرض جماهير الشعب الذي بدأ الشعراء والملحنون يحفظونه، لأول مرة في تقاليد حكم البعث، أناشيد تدور حول الفرد ، الفارس ، السوبرمان: صدام ، صدام ، صدام ..

وكان الغناء قبل ذلك يدور للحزب ... والمجردات مثل الأمة العربية والقومية والاشتراكية الخ : السمة الغالبة للشعر والغناء. وكان ذلك مما ميز الحكم البعثي عن الحكم الناصري الفردي ولو من حيث الشكل العقائدي المبدئي.. ولكن هاهو صدام والناس ترقص وتغني له ولعيونه الجميلة (كذا !) وهو يتبختر في حركاته بين مقلد لعبد الناصر ومقلد لنجوم السينما. وهكذا ملء الكأس وأترع صدام بالغرور.

كان معروفاً قبل تولي صدام رئاسة الجمهورية أن هناك أكثر من شخصية قوية ذات نفوذ في الحزب والقصر الجمهوري منهم غانم عبد الجليل، عدنان حسين، محجوب، محمد عايش، وآخرون لم أعد أتذكر أسماءهم رغم أنهم كانوا أسماء طنانة تدوي في الآذان صباح مساء. وبعض من هذه

الأسماء كانت مقربة للبكر تنعم برضاه وتدليله وكانت تشعر أنها بعد البكر مساوية في القامة مع صدام.. ولا ندري نحن هل صدر منهم شيء أخاف صدام أو ألقى التوجس في صدره منهم، أم أن صدام ــ بأمر من أمريكا ــ كان قد افترض احتمال معارضتهم له في أمور مستقبلية نوى القيام بها ضد الثورة الإسلامية بأمر من أمريكا تلاقى مع هوى قلبه في كراهية تحكيم شريعة الله وحب مايسخط الله: المهم أنه شرع في تنفيذ ما يرضى خطة أمريكا في إلغاء القيادة الجماعية حتى ولو كان هناك احتمال بأنها ستوافقه أو تهادنه، على أساس أن الاحتياط واجب كل لص وسفاح. ومع تباشير شهر أغسطس ١٩٧٩ ران الصمت الرهيب على الشعب العراقي وعلى قاعدة الحزب الجماهيرية، وهم يستمعون إلى تفاصيل تقرأ عليهم من التلفزيون ثم تعرض عليهم سينمائياً، عن خيانة مروعة تم اكتشافها في صفوف المتصوفة والزهاد من كبار قيادة الحزب القطرية والقومية والحكومة. ووقف صدام في الفيلم السينمائي يبكي حزناً على انتهاك العذرية الحزبية. لكنه سرعان ما جفف دموعه بالكلينكس وهو يجمع شتات عزيمته ليقول للشعب العراقي وللجماهير الحزبية مع ومضة خاطفة في عينيه النازيتين: « الذي يخون قومه ليس له منا الا السيف » . وفي ٨ أغسطس سنة ١٩٧٩ تساقطت ٢١ رأساً تضمنت كل الرؤوس اللامعة في الحكم والحزب والتي كان يمكن أن تتحكم في بعض مجموعات داخل الحزب[1] وكانت هذه المجزرة كافية لإرهاب المنتمين للحزب كافة وإلزامهم الأدب والطاعة الكاملة للمعلم الكبير صدام حسين الذي أثبت عمليا للجميع أن قلبه أشد قسوة من الحجارة وأنه إذا كان قد هان عليه قتل أصدقائه وأحبائه ورفاقه المقربين فانه بهذا يرفع شعار حكمه الجديد وهو: «والله لو وقفت زوجتي (بنت

---

١ ــ كان المفروض أن يتم إعدام منيف الرزاز (وهو أردني)، نائب الأمين العام للقيادة القومية للحزب، لولا تدخل الملك حسين فاكتفى صدام بتحديد إقامته ثم سجنه، مع إعدام كل مؤلفاته البعثية وتنظيراته الحزبية. وأنزل صدام بديلا عن ذلك مؤلفاته الشخصية وكتيباته التنظيرية تمهيداً لاستئثاره بلقب مفكر الحزب وفيلسوفه ومنظره الوحيد.

خاله) وأبنائي في طريق ما أريد لأذبتهم في حمض الكبريت!».. وأطبق الشعب العراقي وأفراد الحزب وجماهيره فمه لا يقول ما في قلبه وعقله حتى ولو في غرفة نومه همساً في أذن زوجته.

وبداية من هذا التاريخ سيطر صدام على كل مفاتيح السلطة في الحكم والحزب بقيادتيه القطرية (التي تتحكم في الحزبيين العراقيين) والقومية (التي تتحكم في الحزبيين العرب من الأقطار الأخرى) وتحققت بهذا الأهداف الآنفة الذكر، من ١، ٢، ٣ إلى ٤ مما كان مطلوباً لأمريكا أن يتم عبر صدام، تمهيدا لتحقيق المطلبين رقم ٥ و ٦، وهو إسقاط الثورة الإسلامية وعلى الأقل حرق العتاد العسكري الذي ورثته الحكومة الإسلامية عن الشاه والذي كانت أمريكا وإسرائيل تخافان أن يستخدم ضد إسرائيل بدلا من حمايتها ــ كما كان مقصوداً من قبل في عهد الشاه ــ أو أن يستخدم للدفاع عن الحركات الإسلامية التي يتأجج بها الوطن الإسلامي خصوصاً على الأرض العربية! وخاصة بعد أن أسقطت إيران الثورة الإسلامية علم إسرائيل واحتفلت مع ياسر عرفات برفع علم فلسطين في سماء طهران في تناغم حركي شجي يفوق كل موسيقى البشر عذوبة وجمالا، وأعلنت نفسها دولة مواجهة في الحرب ضد المطامع الصهيونية والامبريالية ــ الأمريكية والسوفييتية ــ في المنطقة، وبدأت في تجهيز نفسها لتنفيذ دعوة الإمام الخميني بإعداد جيش العشرين مليون مقاتل الزاحف نحو فلسطين لتحريرها من السرطان الصهيوني.

كان من البديهي أن يحرص صدام على تنفيذ ما تريده أمريكا وإسرائيل لأن إيران الثورة الإسلامية في فورانها وتأججها ونقائها سوف تحول موضوع تحرير فلسطين من ورقة لعب في يد الأنظمة العربية وعلى رأسها نظام البعث العراقي الصدامي ــ اللاعب الأكبر ــ إلى حركة زحف إسلامي حقيقي تحرك بالفعل نحو غايته مهللا «الله أكبر» كأنه ذاهب للحج أو صلاة العيدين مطيعاً لدعوة الإمام: «الصلاة جامعة.. الحرب جامعة»!.

لم يحزن الشعب العراقي على قتلى ٨ أغسطس سنة ١٩٧٩ لكنه توتر، كان لسان حاله هو أن الله قد جعل بأسهم بينهم وأن القاتل ليس بأفضل من المقتول والمقتول ليس بأفضل من القاتل ولكن التوتر كان ناشئاً من الإحساس بأن الدم قد عاد والمجازر قد بدأت من جديد .

وبدأت تنتشر في طرقات بغداد ظاهرة ثياب الحداد الأسود ـــ والتي هي غير العباءة السوداء (الزي الشعبي للمرأة العراقية) ـــ وتتزايد متصاعدة مع الشهور المتتالية عقب أغسطس، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ١٩٧٩، يناير ١٩٨٠، فبراير ومارس حتى وصلت المذابح ذروتها اللامعقولة في أبريل ١٩٨٠ الذي تم فيه إعدام الإمام الصدر وشقيقته بنت الهدى .

وفي شهر نوفمبر سنة ١٩٧٩ كان الحكم الصدامي قد أدان حصار السفارة الأمريكية بطهران وأخذ الرهائن الجواسيس الأمريكيين بها. وتناقض في هجومه على سلوك «الطلبة السائرين على نهج الإمام»، فمن إدعائه بأنها تمثيلية متفق عليها بين أمريكا والخميني، إلى إدانتها بأنها انتهاك القانون الدولي!

وكنت طيلة تلك الشهور، قبل أبريل سنة ١٩٨٠، أسمع عن الإعدامات الجماعية[1] التي كان يساق لها الشباب المسلم : ٣٠٠ ، ٤٠٠

---

١ ـــ بدأ الإعدام لتأييد الثورة الايرانية مع بداية حكم صدام حسين في يوليو ١٩٧٩، وأخذ في التصاعد من ديسمبر ١٩٧٩ إلى أن بلغ ذروته في أبريل ١٩٨٠ بإعدام الإمام الصدر وشقيقته ـــ طيب الله ثراهما ـــ والبداية كانت أولا مع المتهمين بالانتماء إلى حزب الدعوة ثم أخذت تتسع مع الخوف إلى من يشك في ولائهم من صفوف حزب البعث نفسه (خاصة أن قاعدته الشعبية هي من الشيعة)، ومن لديهم ولاء للإسلام .

شاب يومياً حتى قيل أن الحانوتي المكلف بدفن الجثث تزمر من كثرة العمل المطلوب ، منه ومن مساعديه ، إنجازه في الليلة الواحدة !

وكنت أسير في بغداد أكاد أشم الدم وأحس مذاقه حقيقة في حلقي وأنا أبلع ريقي .. وعندما كلت الأجهزة المكلفة بالإعدام والدفن وجدوا طريقة أوفر لهم في الجهد وهي دس نوع من سم الفئران في مشروب مصنوع من اللبن الزبادي (شراب عراقي شعبي يتناولونه دائماً خاصة في الصيف) يرغم من يتم اعتقاله، بتهمة الإسلام أو التعاطف مع الثورة الإسلامية، على شربه ثم يطلق سراحه و يعود إلى أهله ليموت في اليوم الثالث وتقع مسئولية دفنه على أهله .

وكانت الإعدامات تنفذ معظمها في الشباب المسلم الشيعي، مؤجلين دور «السنة» حتى إشعار آخر بعد أن تفرغ هجمتهم على حزب الدعوة الإسلامي ذي القاعدة الشيعية.

وكان الشعب العراقي يعرف أن الإعدامات الجماعية هذه صارت شيئاً اعتياديا وروتيناً يومياً حتى أن الأسرة التي يتم اعتقال شاب من أبنائها تندهش لو عاد سليما لأنها تحتسبه عند الله تعالى لحظة أن يذهب مع رجال الأمن.

هذه الحرب الغادرة التي استحلها صدام وزمرته ضد الشباب العراقي المسلم رغبة في إبادته جاءت بنتيجة عكسية إذ أنها على غيرما توقع صدام أذكت التأجج الثوري أكثر في صدور الشباب المسلم وجاءته ضربة من حيث لم يتوقع في صيف ١٩٧٩ عندما قامت مجموعة من الشباب البعثي من حي الثورة الشيعي الفقيروالذي كان يقوم بحراسة مقر الحزب بالحي ــ بإعلان التمرد على صدام، وقيادة مظاهرة تهتف بسقوطه و بحياة الثورة الإسلامية.

وجن جنون صدام وهرعت كافة قوات الردع في بغداد وأخذت المظاهرة بإطلاق الرصاص على الجميع. ثم بدأت عملية صارمة في تمشيط صفوف الحزب كافة. وابتدأ النشاط الإعدامي يمتد من إعدام الشباب المسلم المنتمي الى حزب الدعوة[1] ــ حقيقة أو اتهاماً ــ إلى الشباب البعثي الذي دخل الحزب كاتما لإسلامه، مكرها وقلبه مطمئن بالإيمان.

وتنبه صدام مع ذلك ــ بمجهوده أو بتنبيه ممن يستعملوه ــ أن الإعدام والعين الحمراء يجب أن يتوازنا قليلا مع بعض التدليل والتلطف. وبدأت جولاته الشعبية[2] في كل مناطق بغداد أولا ثم من شمال العراق حتى جنوبه. وفي بغداد بدأ بزيارته لحي الثورة القابع في فقره في طي النسيان والإهمال الحكومي والحزبي وحشد الناس لاستقباله في ترحيب شعبي، ونقل لنا التلفزيون صدام وهو يقف ببذلته الباريسية الأنيقة وخطابته البطيئة الخنفاء يعترف لأهالي حي الثورة أنه قد تم إهمالهم لوقت طويل وأنهم ضربوا المثل في قوة الاحتمال والصبر على المكاره وسوء الخدمات، وقد آن الأوان لكي يلقوا الاهتمام كجماهير كادحة، لمصالحها قام الحزب وقامت الثورة! ولكنه تدارك قائلا: ومع ذلك فان إهمال رصف وتمهيد طرقات حي الثورة ليس سببه كله تناسي مصالح الجماهير الكادحة أو خذلانها، لا سمح الله، ولكن هناك سبباً هاماً آخر وهو أن حي الثورة يقوم على بحيرة نفطية ضخمة أرغمتهم على تأجيل رصف وتمهيد الطرقات لكن «ما يخالف» [أي: لا بأس]. منذ الآن، وبالرغم

١ــ أصدر صدام حسين في ٣١ مارس ١٩٨٠ قرارا بتطبيق المادة ١٥٦ من القانون الجنائي ــ وتقضي بالإعدام ــ على كل من ينتمي إلى حزب الدعوة الإسلامية. وهو قرار ليس له مثيل في تاريخ الشعوب ما عدا قرار آخر أصدره الجناح المنافس من حزب البعث، والمتحكم في سوريا، في نفس الوقت تقريباً، بإعدام كل من ينتمي الى الإخوان المسلمين.

٢ــ بدأت زيارات صدام «الشعبية» مع بداية عام ١٩٨٠ واشتدت خلال أبريل ومايو و يونيو من تلك السنة.

من بحيرة النفط تحت التربة، سوف تبدأ الحكومة في رصف وتبليط الطرقات لأنه إذا كان أهالي حي الثورة مستعدين للصبر أعواماً أخرى فان صدام لم يعد يحتمل الصبر لهم أكثر ! وتطرق في كلمته لجماهير حي الثورة عن النظام السوري الخائن العميل مشبها حافظ الأسد بمعاو ية الذي أراد الدنيا أما هو (صدام) فانه كالامام علي الذي لم يفكر إلا في مبادئه التي أستشهد هو وإبنه الحسين في سبيلها ومن أجلها ! وكان هذا في الحقيقة أول قرار جمهوري يصدره رئيس دولة عربية « سنية » يدين معاو ية رسمياً و يعظّم الإمام علي في مقابله.

وهنا أمسك الشعب العراقي أمعاءه خشية القيء لأنه كان يعرف أن سب معاو ية على ملأ حي الثورة (الشيعي) ليس محبة لعلي أو للحسين ولكن إخفاء ليزيد جديد أشد كفراً ونفاقاً وسفاهة من يزيد القديم .

ومع مهرجانات الزيارات الصدامية لمناطق العراق والتي صارت البرنامج الطو يل الممل المقرر على مشاهدي التلفزيون يومياً استمرت وجبات الإعدام في تزايد متصاعد ومتكشف ترهق القلب والصدر والضمير وتحيط النائم بكوابيس لا ينطبق معها جفن حتى جاء يوم أول ابريل ١٩٨٠ عندما تربص طالب بكلية العلوم بالجامعة المستنصرية عند مدخل الجامعة منتظراً مع تجمع طلابي لاستقبال الوزير طارق حنا عزيز ومجموعة من زمرة صدام حسين وعندما كان الوزير يتهيأ للنزول من سيارته ألقى الطالب قنبلة قاصداً قتل الوزير، انتقاماً للمجازر اليومية، لكن الوزير لم يصب إلا بإصابة طفيفة وهلع كبير جعله يجري في طرقات الجامعة لا يلوي على شيء ، وأصيب كثير من الطلبة البعثيين وقتل منهم طالب وطالبة ، وتولى الحرس إطلاق الرصاص على الطالب فأردى شهيداً لفوره وقال الناس أن صدام لما علم بالخبر أصدر أوامره فوراً لفرقة من عسكره بالتوجه إلى بيت الطالب بشارع فلسطين القريب من الجامعة ونسفه

بمن فيه من أهله وضيوفه وحيواناته ودواجنه! (مثلما فعل ماكبث في رواية شكسبير!) .

وكان هذا الحادث مبرراً لعهد قطعه صدام على نفسه في خطبة قالها في فناء الجامعة المستنصرية «والله، والله، والله، لأقتص كل نقطة دم من الدماء الذكية التي سالت على أرض المستنصرية!» وبدأت مرحلة جديدة من الجنون المطبق.

الكراسة الثانية

حرب صدام على الشعب العراقي

«.. صدام، الذي فقد حياءه، صار يصنع ما يشاء!
وصار مطلوباً من كل فرد في الشعب العراقي أن يحلل
دمه ليثبت أنه على مر الدهور والقرون لم يختلط دمه بأي
نقطة دم إيراني..»

«صرخات (وين نروح... وين نروح) تتردد على لسان
الجميع، فالغالبية لا تعرف أحداً بايران المرحلين إليها ولا
تعرف حرفاً واحداً من اللغة الفارسية » ..

«لم يتساءل أحد كيف يطرد المسلمون هكذا من ديارهم
والدعوة مازالت مفتوحة لعودة يهود العراق الذين هربوا
بارادتهم إلى إسرائيل ليشاركوا في ذبح العرب»..

كانت ذكرى تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي على الأبواب في ٧ أبريل سنة ١٩٨٠ حين تمر ٣٣ سنة على تأسيس ميشيل عفلق له تحت شعارات كثيرة منها تحقيق الديمقراطية (!) وتقديم مفهوم جديد للقومية العربية التي قال عنها أنها قومية أممية لأنها منبعثة من الإسلام وهي غير القومية النازية لأنها لا تحدد العربي بدمائه وأصوله الجنسية ولكن تحدد العربي بأنه: كل من سكن الوطن العربي وتكلم العربية وتوحد مع قضايا الوطن العربي ومصالحه، ونادى باحترام حرية الفرد وإنسانيته... إلخ

وكانت مفارقة مضحكة مبكية معاً حين رأينا كيف توافق، مع ذكرى تأسيس هذه الشعارات، العصف كلية بها، بل ودعسها تماماً تحت الأقدام، وذلك خلال مهرجانات الاحتفالات الصاخبة بالذكرى!

كان الغرور قد بدأ يأكل جزءاً من دماغ صدام وعقله وجاء الخوف من تصاعد الحركة الاسلامية ليأكل البقية الباقية. وبدأ صدام يطل علينا من التلفزيون في أحوال مختلفة مختلطة تظهر ــ رغم تمسكه برطانة اللغة الحزبية ــ أن الرجل لم يعد يمثل حزباً أو فكراً ــ أيا كان ــ أو منهجاً: لقد صار سفاحاً ملتاثاً بالدماء وبعثرة اللحم البشري. كان واضحاً أن قنبلة أول إبريل ١٩٨٠ التي ألقاها الطالب كانت شارة احتجاج ورفض لمجازر القتل الجماعي للشباب العراقي المسلم، والتي كان الأولى بصدام ــ لو كانت لديه ذرة عقل أو مسئولية فكر حزبي ــ أن يتلقطها كمؤشر نقدي يصلح به أحواله أو يتعلم منه درساً ولكن: «ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم»[1]. وفتن صدام كما فتن من قبل نمرود وفرعون وهامان وعبد الناصر.

---

١ ــ المائدة (٥): ٤١

ومقابل زمرته التي قتل منها إثنان ونقل بعضها إلى المستشفى باصابات طفيفة كرد فعل لمجازره اليومية، بحيث يعد هو مسئولا مسئولية كاملة عن الأضرار التي أصابت زمرته، هجم صدام أول ما هجم مطيحاً برأس العلامة الامام محمد باقر الصدر: واحد من ندرة علماء الإسلام في عصرنا الحديث، ومطيحاً كذلك برأس شقيقته وتلميذته العالمة الآنسة بنت الهدى. وتذكرت على الفور أغسطس ١٩٦٦ في مصر والهجمة الغاشمة التي هجمها عبد الناصر وخسرنا فيها وخسر العلم الإسلامي علامتنا الإمام النابغة الشهيد سيد قطب.. هكذا في خلال أربعة عشر عاماً ينقض البوم والغربان لينتزعوا منا أروع ما أخرجته حدائقنا من ثمار و يستبيحوا لأنفسهم ما استباحه التتر والمغول والفجار: ما هو أفحش من حرق الكتب والمكتبات ، ألا وهو حرق الأدمغة والذكاء الذي يخرج الكتب و يعمر الحضارات .

وكان قتل الامام الصدر يعني أنه لم يعد هناك حياء، ولم تعد هناك حدود، ولم يعد هناك معقول ولا معقول، ولم يعد هناك ما تتوقعه وما لا تتوقعه: كل حرمات الشعب العراقي مستباحة ومهتوكة تحت سنابك حصان الغازي صدام!

وخرجت فيالق العبيد تنفذ للغازي صدام أغرب عملية تفتيش يمكن أن تتم في أي بلد في دنيا الربع الاخير من القرن العشرين الميلادي ومشارف القرن الخامس عشر الإسلامي! لقد صدر الأمر من الغازي صدام بأن يثبت الشعب العراقي أنه عراقي! وكيف يتم ذلك؟ هل يكفي أن تبرز شهادة الميلاد التي تثبت أنك مولود بالعراق ؟ هل يكفي أن تبرز وثيقة جواز السفر العراقي ؟ هل يكفي أن تبرز سمات وجهك ولغة لسانك و واقع وجودك الفعلي أبا عن جد على ثرى الأرض العراقية التي يرقد فيها أمواتك و يولد عليها أولادك ؟

كـلا! إن صدام الغازي أكثر دقة في التمييز بين أبناء الشعب العراقي الواحد: أكثر دقة من هتلر الذي حرق وطرد جنساً غير جنسه وديناً غير دينه...

المعروف أن الشعب العراقي، والذي هو جزء من الشعب العربي، يتضمن في داخله أجناساً عديدة مع سمته العربية الغالبة، وأدياناً عديدة مع سمته الإسلامية الغالبة كذلك، فهو يتضمن في تعداده: المسيحي، والآشوري، والكلداني، والسرياني، والأرمني. وهذه الأجناس رغم تقاربها ــ باستثناء الأرمني ــ لها لغاتها المختلفة وكنائس مذاهبها المختلفة ومنافساتها التقليدية المتخفية المتوارثة، وكلها تجيد اللغة العربية وتتكلمها في إطار التعامل العراقي العام. وهو يتضمن كذلك مجموعة «الصابئة» ــ المذكورة في القرآن ــ وهي مجموعة يقال أنها من أصل عربي قديم ولغتها هي المانداثية وديانتهم جاءت بعد اليهودية وقبل المسيحية و يقال أنهم أتباع سيدنا يحيى ، وهذه المجموعة تعتز بعراقيتها وتشعر أنها أكثر العراقيين عراقية ، وهي تتكلم العربية كذلك في إطار التعامل العراقي العام . وهناك كذلك اليهود العراقيون الذين تم تشجيعهم بدعوة المهاجرين منهم إلى إسرائيل بالعودة إلى وطنهم العراق. أما في الإطار الإسلامي، فهناك التركمان والأكراد الذين يتكلمون لغاتهم و يعتزون بقومياتهم، و يعتبرون أنفسهم قوميات تعيش في الإطار العراقي إلى جوار القومية العربية.

يحتضن كل هذه الاقليات المتنوعة غالبية الشعب العراقي العربي. وعندما نقول العربي لا نعنى فقط البدوي ذو النقاء العرقي القح، ولكن نعني العربي الجديد هذا الذي يغطي الوطن العربي بأكمله، الذي اختلط دمه العربي بما اختلط به تاريخه من دم تركي، وكردي، وفارسي، وتتري، ومغولي، وبربر، وحبشي إلى آخر الأجناس التي دخلت الإسلام واختلط بهم العرب وصاروا بالنهاية مانطلق عليهم اليوم العرب و ينادى الفكر البعثي بوحدتهم

متقبلا أصولهم المختلفة معترفاً بهم عرباً رغم عدم نقائهم العرقي حيث صار النقاء العرقي لأي شعب في زماننا خرافة هتلرية ومغالطة علمية .

لكن صدام، الذي فقد حياءه، صار يصنع ما يشاء! وصار مطلوباً من كل فرد من الشعب العراقي أن يحلل دمه ليثبت أنه على مر الدهور والقرون لم يختلط دمه بأي نقطة دم إيراني ! وحتى إذا جاز هذا المستحيل فانه كذلك لا يكفي إذ لابد أن يتم إثبات أن «الجنسية العراقية» ــ التي لم يكن لها من وجود قبل إصدار قانون الجنسية العراقي عام ١٩٣٢ (حسب ما أذكر) ــ جاءت لتحل محل ما كان يسمى «رعية عثمانية» وليس «تبعية إيرانية». أما ماهو الفرق بين الذي كان «رعية عثمانية» والذي كان «تبعية إيرانية»، فلا شيء في حقيقته الموضوعية الخاصة بعراقية العراقي : كل ما في الأمر أن الشعب العراقي في غياب قانون الجنسية الخاص به أخذت غالبيته سمة «الرعية العثمانية» مندرجة تحت دولة الخلافة العثمانية السنية واختار البعض من الشيعة الاندراج تحت «التبعية الايرانية» مع حقيقتهم العربية العراقية التامة، وكان بعضهم يجدها مهرباً كذلك من تجنيد أبنائه إلى أن جاء قانون الجنسية العراقي فدخل تحته الجميع: «الرعية العثمانية» و «التبعية الايرانية» على حد سواء. وبعد كل هذه السنوات ــ بأحداثها العديدة ومتغيراتها التي لا حصر لها والتي مات فيها أصلا من فضل التبعية الايرانية على الرعية العثمانية ومن اختار الرعية العثمانية بدلا من التبعية الايرانية، وبعد أن ولد أكثر من جيل لا يحمل ولا يعرف إلا الجنسية العراقية ــ يجيء صدام وقد تفتق ذهنه بإعلان حرب لا هوادة فيها، على الشعب العراقي، يتم بها طرد كل فرد يثبت أنه عراقي الجنسية من أصل «تبعية إيرانية»: يخرج من داره بالقوة، بالركل والضرب والإهانة هو وعائلته من الجد حتى الحفيد و يتم شحنهم في سيارات مكشوفة في ظلمة الليالي الباردة ثم يرمى بهم خارج الحدود في العراء الخلاء بلا

غطاء أو طعام أو نقود[1] !

وبينما كان يتم تهجير عشرات الألوف إلى إيران بتهمة كونهم «تبعية إيرانية» ، لم يتم ماكان منطقياً وهو تهجير الباقين من الشعب العراقي إلى تركيا لأن أجدادهم حملوا « تبعية عثمانية » !!

وهكذا وجد الشعب العراقي نفسه تحت وابل من إجراءات إعدام جديدة لا تطاح فيها الرؤوس إلى الموت ولكن يطاح فيها البيت والعمل والمال وحق المواطنة والكيان الإنساني بأكمله: يطاح إلى خارج الحدود إلى غد مجهول لا يعلمه إلا الله، وصدام أثناء هذا كله يطل علينا من التلفزيون يضحك ضحك دراكولا مصاص الدماء محيطاً نفسه في الصباح بمجاميع متواصلة من الأطفال يوزع عليهم اللعب والهدايا أثناء اللهو معهم ساعات طويلة في محاولة يائسة لجلب لمسات إنسانية تغطي أنيابه الزرقاء التي يقطر منها الدم ! أما في المساء فنراه في التلفزيون أيضاً حيث تقام حفلات من الشعر الشعبي يتبارى فيها مجموعة من الأوغاد ــ كأنهم انسلوا وجاؤوا من شقوق للثعابين والعقارب ــ يصرخون حتى الصباح بكلام بريء منه الشعر والشعب على حد سواء ، وصدام جالس بينهم سعيد يضحك لايزال ــ ضحكة دراكولا ــ وهو يلوك سيجاره الكوبي كأنه يمصمص عظام جمجمة بشرية .

---

١ ــ بدأت عمليات التهجير في أبريل ١٩٨٠ وأخذت تتصاعد في الشهور التالية . ويمكن القول الآن أنها كانت مقدمة قرار صدام بشن الحرب على الثورة الإسلامية في ٢٨ سبتمبر من تلك السنة .

كانت الحكايات تجوب بغداد تلسع القلب :

● هذا البيت أخذت منه الأم لأنه ظهر أنها عراقية من أصل تبعية إيرانية أما أولادها فقد ظلوا مع الأب الذي ثبت أنه عراقي من أصل رعية عثمانية ، ولم يشفع للأم المطرودة وليدها الذي لا يزال يرضع منها .

● هذا البيت أنتزع منه ثلاث شقيقات ليس لهن أحد، كبراهن في التسعين من عمرها، وصغراهن في السبعين ، وعلا صراخهن عندما داهمهن رجال الأمن في جوف الليل يصرخن: «و ين نروح .. و ين نروح» والرجال، عبيد صدام، يلطمنهن: «إخرسن .. كلاب أولاد كلاب .. جواسيس المجوس!».

● وهذه الدار ثبت أن الأب من أصل تبعية إيرانية فطرد هو وأبنه الكبير أما أبناؤه مابين ١٨ و ٢٨ سنة فقد تم اعتقالهم بتهمة كونهم من أصل إيراني ولم يتم طردهم لأن الذهن الصدامي المريض تفتق عن وباء إضافي وهو: عدم طرد الشباب مابين ١٨ و ٢٨ سنة خشية أن يتطوعوا في الجيش الإسلامي لمقاومته! وبناء عليه يطرد جزء من العائلة و يسجن جزء آخر — يتم دس السم له أثناء الحبس — وتبقى الأم وحدها بالعراق أو تترك الدار خالية تنعي من بناها تمهيداً لاحتلالها واغتصابها من قبل عبيد صدام وزمرته.

● غالبية المسنين يموتون خلال الطريق إلى الحدود وعديد من النساء أجهضن من العناء والحزن .

● صرخات «و ين نروح .. و ين نروح» تتردد على لسان الجميع، فالغالبية لا تعرف أحداً بايران المرحلين إليها ولا تعرف حرفاً واحداً من اللغة الفارسية!

● أحد الرجال من المسئولين عن عملية الطرد والترحيل تراه زوجته وهو يلطم أحد المرحلين فتصرخ به أمام الجميع: «الله يشل يدك» ! وتنفجر مع الباكين واللاطمين!

● بعض المسئولين عن عملية الطرد والترحيل يعللون استعمالهم العنف والقسوة بأنهم إذا لم يفعلوا ذلك سوف يتهمون بالتواطؤ! ــ (بالتواطؤ مع ماذا ومع من؟ بالتواطؤ مع الإنسانية، ومع الشعب العراقي؟!) ..

● واحد من حواة الكلام والرطانة الحزبية ينفي القول بأن الطرد والترحيل يشمل جميع الأصول الإيرانية و يقول: هذا غير صحيح.. لقد تم استثناء المسيحي الذي من أصل إيراني! وتسأله: ولماذا انصب الإجراء على المسلمين فقط؟ فيقول: بالطبع لأن المسيحي مضمون عدم تأييده للثورة الإسلامية ولأنه لا يمكن أن يكون مشاركاً في حزب الدعوة الإسلامي أو أي نشاط إسلامي آخر! ــ (هذا الكلام ليس خرافة، لقد سمعته بلحم أذني، وقائله كان يحضّر الماجستير في القومية العربية!!)..

يعني أن كل هذه العقوبات، من إعدام وسجن وطرد وتشريد، لا توقع على أناس ارتكبوا أفعالا ولكنها توقع على مئات الآلاف من الشعب العراقي المسلم ــ بالذات ــ لأن هناك احتمال بأن بعضهم قد يرتكب ــ في المستقبل ــ هذه الأفعال التي تستحق العقوبة(؟!).

أية شريعة هذه التي يطبقها صدام وهو الذي يحب أن يفتخر دائماً بجده حامورابي صاحب أول شريعة قانونية ألفها الإنسان من بنات أفكاره!؟

هذا التساؤل لم يطرحه واحد من الحواة الطبالين الزمارين في

الصحافة والتلفزيون وأبواق الحزب: لم يطرحه أحد ، ولو من باب حفظ اللياقة الجمالية لواجهة الحزب ووجه العقيدة! لم يتساءل أحد كيف يطرد المسلمون هكذا من ديارهم والدعوة مازالت مفتوحة ــ ومعلنة في جرائد العالم ــ لعودة يهود العراق الذين هربوا بإرادتهم إلى إسرائيل ليشاركوا في ذبح العرب!

وبديلا عن هذا التساؤل ارتفعت عقيرة الحواة في أجهزة الاعلام بسب الإمام الخميني ونعته بالعنصرية(!!) والطائفية والتخلف!! علاوة على التوضيح للشعب العراقي أن الإمام الخميني « جاهل بالإسلام » أما الفقيه العارف بالإسلام فهو الرفيق صدام الذي جمع رجال الدين في البلاد ليعلمهم أن الإسلام لا علاقة له بشئون الحكم وأن الحكم لا علاقة له بشئون الإسلام، والعمائم المنكسة أمامه تجلس صامتة مستذلة بين شيخ فان وكهل وشاب ولا يفتح واحد منهم فمه ليقرأ للسلطان الجائر آيات الله الكريمة:

«.. ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان..» [١]

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» [٢]

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» [٣]

---

١ ــ البقرة : ٨٥
٢ ــ المائدة : ٤٧ .
٣ ــ المائدة : ٤٤ .

باجراءات الطرد هذه، أصبح الموقف حرجاً بالنسبة لكثيرمن المصريين والعرب اللاجئين سياسياً إلى العراق أو الذين أقاموا للعمل به منذ سنوات طويلة قبل مرحلة الحكم الصدامي : لقد فتح الشعب العراقي أبوابه لهم حين كان مستقراً آمناً هو أولا في دياره ــ إلى حد ما ــ يملك أريحية استقبال واستيعاب الوافدين عليه من خارج العراق ليشاركوه العمل والقوت.. لكن كيف يتم ذلك الآن وصاحب الدار واقع بين ذبح وسجن وطرد وقمع ؟

موقف ليس له حل ــ عند من بوجهه نقطة من دم ــ سوى ترك العراق تضامناً مع الشعب العراقي وآلامه واحتجاجاً على السلطة الصدامية الغاشمة التي لم تعرف أنها ، بوقوفها العميل ضد الثورة الإسلامية، كانت قد وقفت كذلك ضد الثورة العربية واغتالتها إلى الأ بد.

كان المنطقي والبديهي أن بروز الثورة الإسلامية في إيران دعم للثورة العربية عند كل من يعتقد بــ «القومية العربية» ولا ينظر إلا لمصلحة شعبه ووطنه، وكان انعطاف الثورة الإسلامية تجاه الكتلة العربية ومشاركتها المواجهة ضد العدو الصهيوني غاية ما يتمناه كل من يعتقد أن فلسطين هي القضية المركزية الأولى للعرب بحق وكان من الضروري والأساسي أن يعرف كل حريص على «العروبة» أنه لو دخل بعلم «العروبة» متنافساً مع علم الإسلام فانه، بالمحتم واليقين، الواقع مكسوراً على أسنانه هو وعروبته وعلمها: فهذا «الوطن العربي» فتحه العرب رافعين راية الإسلام ولولا تلك الراية المقدسة لقبع العرب في جزيرتهم قبائل ينقض بعضها على بعض!

ولكن هل كان من الممكن أن يرى صدام هذا المنطق، وهذه البداهة، وهذه الحقيقة البادية كانبلاج الصباح ، وهو الذي اذا « قيل له إتق الله أخذته العزة بالإثم[1] ..»؟

١ ــ البقرة : ٢٠٦ .

كان إذن من الضروري لمن اختار طريق الضلالة والظلمات أن يواصل التوغل فيه... يصد عن سبيل الله و يبغيها عوجاً. وهكذا استمر توغل صدام في الضلالة والظلمات:

أوامر بمنع الطالبات من الحجاب .

مخبر في كل مسجد لمعرفة الحريصين على أداء الفروض ومراقبتهم.

الإرغام القسري للانتماء للحزب ــ (رغم مافي هذا من إهانة للمنتمين بإرادتهم!) ــ حتى يصل هذا الإرغام إلى خيار من إثنين: الانتماء للحزب أو الإعدام!

وفي إطار هذه الحرب الضروس ضد الشعب العراقي يشاء الله أن يفتن الظالم أكثر..

و يعلن صدام أمام الملأ العالمي في سبتمبر ١٩٨٠ عن قادسيته المضحكة الآثمة لينقض على قرة عين الأمة الإسلامية، الحكومة الإسلامية المقامة على أرض إيران بحجة تحرير الأرض العربية والدفاع عن عرب أقليم «عربستان» الذين ذبح وطرد وشرد بقية عائلاتهم المقيمة بالعراق بحجة أنهم من أصل «إيراني» ومتواطئون مع الثورة الإسلامية! و يستمر منذ ذلك التاريخ في تنفيذ الخطوة السادسة[1] التي أرادتها أمريكا وإسرائيل لسحب العتاد العسكري من إيران، الذي كان قد تم تجهيز الحكم الشاهنشاهي به لضرب المسلمين والعرب وتمكين إسرائيل والبهائية والصليبية فوق رقابهم. ولا يكتفي صدام بتورطه فيما أسخط الله فيتحرك هنا وهناك آملا في تجميع شمل جبهة من الكفر والجحود العربي لمواجهة الله ــ جل وعلا ــ وحزبه.

١ــ انظر ص ٢٠ من هذه اليوميات .

و يتحول، بعد أن أنهك الشعب العراقي، إلى بقية العرب المقيمين بالعراق قابلين لضيافته رغم كل شيء و يطالبهم بثمن استضافته لهم وحمايتهم من بغض الشعب العراقي لهم ويجبرهم على الاشتراك في الحرب وإعلان تأييدهم وإلا فلهم الطرد بعد التعذيب والضرب والإذلال، ولنقرأ معاً هذا الجزء من رسالة بعث بها طالب مصري إلى ذو يه:

«.. أخباري: حاولوا جري مع معظم أو كل الطلبة العرب إلى الاشتراك في الحرب ولكني رفضت ومعي طالب واحد أن نشترك ـــ فأخذونا يوم أول يناير و يوم ٣ يناير ١٩٨١ وإستمرينا عندهم حتى يوم ٢٥ يناير وخلال تلك الفترة: ناكل ضرب ونشرب ضرب ونتعلم أن هتلر ما كانش الاستاذ.. لأ.. كان التلميذ لسابق عصره وأوانه قراقوش العراقي. واستمروا في كينا وتعذيبنا ثم رمونا رمية الكلاب على الحدود.. الحدود الأردنية، فوقعنا مرة أخرى في أيدي المخابرات الأردنية وأيضاً قامت بالواجب إلى أن رمتنا خارج حدودها من حيث أكتب لكم الآن.. لقد رفضت المشاركة في الحرب لأنني أعرف أنها حرب لذبح المسلمين في إيران.. وقراقوش العراقي لا يقبل سوى من يلعب معه في الماتش ضد إيران وإذا رفضت تحدث الطامة الكبرى وتجد نفسك في أقبية ومخابيء نسمع عنها في قصص العفاريت.. نسيت أقول: الناس الموجودة حالياً في بغداد ـــ من العرب والمصريين ـــ كلهم هِتّيفة[1] من أول (....) لغاية (....) وكلهم منظرين دلوقت لقادسية صدام.. ولكن معلهش يازهرا!..»

كلمة أخيرة

«إن ما يحدث على الساحة العربية حالة متفاقمة من الجنون يسوقها على الجماهير العربية رؤساء وملوك وأمراء وزعماء الأقطار العربية»..

«كسر عبد الناصر كل المصابيح التي كان من المفروض أن يبقيها لتضيء له دربه..»

إن الذي يحدث في الوطن العربي واقعاً يفرض نفسه على حواسنا هو: «المستحيل» الذي لا يمكن أن يقبله العقل أو المنطق، ولذلك فان التهمة الموجهة باستمرار إلى المسلم والمسلمة ــ على مدى مساحة الأرض العربية التي فتحها لنا الإسلام ــ تهمة التجريم التي تلاحق أي مواطن يرفع صوته بالاعتراض أو حتى الاستفهام هي:

المواطن مجرم لأنه مايزال يستخدم عقله ويحاول أن يمنطق مايدور على الساحة من خبال وجنون مطبق.

إن ما يحدث على الساحة العربية حالة متفاقمة من الجنون يسوقها على الجماهير العربية رؤساء وملوك وأمراء وزعماء الأقطار العربية.

إن الجماهير المسلمة تجاوزت قياداتها جميعاً في العقل والمنطق والرؤيا وطرح الحل ــ (الإسلام) ــ والاستعداد لدفع ثمن الصحوة المرجوة مهما كان غالياً، وتفوقت الجماهير كذلك على كل هذه القيادات في التراحم والإنسانية. لذلك فلم تجد هذه القيادات بديلا لبسط سيطرتها إلا بالقمع والتصفية الفكرية والعقلية والجسدية مع إشهار صحيفة الاتهام القديمة والمستهلكة لإرهاب الجميع: العمالة والتواطؤ لصالح العنقاء والطيور الخرافية.

لقد صدق الذي قال إن الجماهير العربية رهينة معتقلة تحت رحمة حكامها الذين قد يختلفون و يتناقضون و يتسمون بتسميات متنوعة بعضها براق الوهج غريب التركيز، لكنهم في النهاية يخرجون بموقف واحد وقرار واحد وسلوك واحد إزاء جماهيرهم ألا وهو: القمع المستمر، والذبح المستمر، والجنون المستمر. و يبقى هذا هو الشأن الوحيد الذي توحد حوله زعماء العرب

وحكامهم كالبنيان المرصوص في وجه ضحاياهم وهم بالإسم والتعيين: الجماهير المسلمة.

إن هذا البنيان المرصوص يسد أمامنا الطرقات والمنافذ و يقتل التنفس والنبض والحركة وتطور الأمة. وإنني أخشى موتنا الجماعي بفعل جنون الحكام العرب وغرورهم وأنانيتهم وذاتيتهم المفرطة.

إن حالة مصر يجب أن تكون درساً ماثلا أمام عيون الجميع يأخذون منه العبرة: فان حالة مصر الآن نتيجة منطقية لديكتاتورية عبد الناصر وذاتيته المفرطة وتسلطه المميت الذي حدا به إلى تصفية كل القوى الوطنية صاحبة الرأي زاعماً أنه وحده الذي سيخلصنا من الغول والبعبع وطلب منا عن طريق أدواته وقنواته أن نسليه فقط أثناء عمله بالغناء له و بالرقص الشعبي:

«إنت اللى قتلت الوحش»
«إنت اللي جبت الديب من ديله»

وهكذا كسر عبد الناصر بيديه كل المصابيح التي كان من المفروض أن يبقيها لتضيء له دربه السائر عليه ــ لو كان مخلصاً ــ لكنه شاء أن يعصف بكل شيء فسار في الظلام مستعيناً فقط بالإضاءات المخادعة المخاتلة المنافقة التي تريح غروره وترضي جنونه فكانت النتيجة التي ترونها جميعاً .

وقع عبد الناصر في بئر ٥ يونيو ١٩٦٧ ثم أخدود القرار ٢٤٢ الذي ينص على حدود آمنة معترف بها للكيان الصهيوني الغاصب (وكان قد وقع قبل ذلك في حفر كثيرة).

وقع عبد الناصر في الحفر والبئر والأخدود، وانكفأت مصر كلها من ورائه، و وصلنا إلى الحال الذي ترونه الآن:

كامب ديفيد، صلح مع الكيان الصهيوني، العلم النجس مرفوعاً في سماء الألف مئذنة، ثرواتنا العلمية والمهنية مهدورة مبددة على وجه المعمورة، شبابنا الذي أنفقت عليه مصر دم قلبها ليكون مهندساً أو اقتصادياً أو طبيباً.. إلخ.. كلهم الآن في الفنادق والمقاهي والحانات يوظفون الدماثة المصرية في سؤال الزبائن:

«تطلب إيه يافندم؟»

لقد كان عبد الناصر مقدمة وصانع النتيجة التي نعايشها الآن في مصر ــ ولا يهمني أنه مات فأمثاله السائرون على نهجه أحياء ولقد تركهم لنا ألماً جارياً بدلا من تركه صدقة جارية ! وأتساءل :

من يكون المسئول عن مصرع الطائر الجميل ؟ الذي ينزع ريشه ومخالبه و يعجزه عن الطيران والدفاع عن النفس لحظة الليلة الظلماء أم الذي يرفع عليه الخنجر و يطعنه وهو مشلول عاجز مطروح على الأرض؟

فكروا معي جيداً قبل الإجابة.. عسى أن نستلهمها من البعث الإسلامي على أرض إيران.

ولنتذكر من الأندلس «الإبادة» قبل الموشحات والأمجاد!

صافي ناز



صافى ناز كاظم

الكاتبة والصحفية المصرية المعروفة، عاشت فى العراق، كأستاذة بجامعة بغداد من سنة ١٩٧٥ إلى سنة ١٩٨٠. وهذه الذكرات هى شهادتها حول تلك الفترة العصيبة من تاريخ العراق التى شهدت التحول من نقيض إلى نقيض ...... من احتفالات "النصر" الذى أحرزه حزب البعث بتوقيع اتفاقية الجزائر مع إيران الشاه سنة ١٩٧٥ إلى العدوان على إيران الاسلامية سنة ١٩٨٠، ومن حكم الحزب الواحد إلى حكم الفرد الواحد، ومن إعدامات وتصفيات داخل الحزب "القائد" إلى ترحيل عشرات الألوف من العراقيين الأبرياء بتهمة كونهم من أصل إيرانى، بينما كانت الدعوة مفتوحة، وتعلن فى جرائد العالم لعودة يهود العراق الذين هربوا من وطنهم إلى إسرائيل بمحض إرادتهم..... وحين بلغ السيل الزبى غادرت صافى ناز كاظم عراق البعث الذى حوله صدام إلى جحيم .....

وفى غياب محكمة قضائية تحاكم بعثيى بغداد، تقدم صافى ناز كاظم شهادتها لله ولمحكمة التاريخ.....



٢ جنيه استرلينى

ISBN 0-905081-1818



The Open Press Ltd., 6 Endsleigh Street, London WC1H 0DS